الفقيد في بلاد برازيل وعلى ان الفضل يعرفهُ ذووهُ انهُ لما عقد المجلس البلدي جلستهُ القانونية يوم السبت في ٢٩ دسمبر التي الدكتور اورلاندو برادو خطاباً بليغاً اقترح فيهِ تعزية آل الفقيد باسم مدينة سان بولو وتسمية احد الشوارع الجديدة في حي ايبرنكا باسم « نعمه يافث » . وفعلت الغرفة التجارية مثل ذلك وان الجرائد الوطنية اهتمت بنشر اخبار الجنازة وترجمة الفقيد جزيل الاهتمام

في ذمة الله ايها الفقيد العزيز عشت كريماً ومت كريماً عشت عنوان الهمة والشهامة وطهارة السيرة والسريرة وستبقى سيرتك بين سير العظام من رجال المال والاعمال التي رصعنا بها كتاب سير النجاح. عزى الله قرينتك الفاضلة واولادك واخوتك واخواتك عن فقدك والهمهم الصبر الجميل

ولسن

THOMAS WOODROW WILSON

في مجتمع تبارت فيهِ الامم للتفوق الحربي والتجاري وتنازعت الطبقات الاجتماعية في المبادىء والمذاهب طمعاً في التسود والسلطان . وفي عصر كاد السعي وراء الماديات يحلُّ فيهِ محلَّ السعي لبلوغ الغايات الكمالية الرفيعة ، ولعب فيهِ الساسة بمصالح الامم المستضعفة كما يلعبون بقطع الشطرنج ولكن وراء ستار كثيف من الدسائس والمحالفات السرية ، وفي حرب نشأت عن ذلك التنازع والطمع فاجمعت اكبر الدول على انها معترك البقاء او الفناء بقاء للغالب وفناء للمغلوب — ارتفع صوت الرئيس ولسن يدعو الى نبذ الاطماع والاحقاد وعقد صلح قائم على العدل والانصاف وتخويل الامم الصغيرة ان تقرر مصيرها بنفسها وتنظيم اداة للتعاون بين الامم حتى تبقى اعلام السلام والوئام خافقة يزدهي في ظلها العمران ووضع نظام ادبي جديد للمعاملات الدولية يقوم على الصراحة والعدل والايثار

سمع الناس ذلك الصوت العلوي فاصغوا اليهِ وامدّوهُ من اعتقادهم بقوة كبيرة لانهُ نطق بما يختلج في قلوبهم ونفوسهم من كره للحرب وتوق الى السلام والعدل بعد ان سئموا بذل النفوس والاموال في معترك السياسة والاطماع

وقدمات ولسن خفقت الصوت الذي ارتفع عالياً لتأييد الحق والمحبة والسلام تاركاً

حرباً مسعرة في ارجاء المعمور بين العصر القديم والعصر الجديد ، مغادراً جمعية الامم تتلاعب بها تيارات السياسة والقوة ولكن غصنها الزيتوني يلتوي ولا ينقصف، مات ولفظ مع انفاسه الاخيرة «الاستعمار» لانهُ اكمل الجهاد الذي وقف الحياة لاجلهِ

على ان المحققين من الباحثين في احوال العمران يرون في الفوضى التي تكاد تعمّ

ولسن حين انتخب لرآسة سنة ١٩١٢

اوربا توقاً صادقاً الى السلام والوئام ومستقبلاً مجيداً لجمعية الامم ومجلس العدل الدولي . كذلك نرى بين زعماء الامم نفراً غير قليل من الرجال الذين يرون رأي ولسن ويقتفون خطواتهِ فكانَّ شخصيتهُ تمددت بعد اعتزالهِ السياسة فصار لمبادئهِ رسل في جميع انحاء المعمور ولو لم يتمّ لهُ سوى التعبير ببلاغة خلابة عن ذلك الميل

الشديد في الطبيعة البشرية الى السلام فكانت خطبهُ العامل الاقوى على تنظيم الرأي العام لتأييد السلام لكفاءهُ نفراً . ولكن لهُ من اخلاقهِ ومقدرتهِ العلمية (١) وكفاءتهِ وما اتفقهُ من الاصلاح في جامعة برنستن وولاية نيوجرزي والولايات المتحدة عموماً ما يجعلهُ من اعاظم الرجال الذين انجبتهم اميركا

***

ولد في ستونتن بولاية ڤرجينيا سنة ١٨٥٦ ووالدهُ من اصل اسكتلندي وامهُ من اصل ارلنديّ فتخرج في جامعة برنستن سنة ١٨٧٩ واشتهر فيها بقوة العارضة اذا كانت المناقشة في المواضيع السياسية والاجتماعية. ويقال انهُ كان بين جامعة برنستن وجامعة اخرى مباراة خطابية وكان اعتماد برنستن عليهِ في تلك المباراة . والقيت قرعة بين المتناظرين فاصابهُ الوجه الذي لا يعتقد صحتهُ فابى ان يدافع عنهُ قائلاً « انا لا ادافع عن قضية لا اعتقد صحتها » . في هذا الجواب المفحم سرٌّ نجاحهِ في السياسة وسرٌّ فشلهِ ايضاً . وبعد خروجهِ من برنستن اشتغل بالمحاماة فلم يدرك فيها نجاحاً باهراً لاهتمامهِ بالشؤون العامة ولانهُ فطر على البحث العلمي . فدخل جامعة جون هوبكنس للتوسع في العلوم التاريخية والسياسية فنال لقب دكتور في الفلسفة منها سنة ١٨٨٦ والف رسالة موضوعها «حكومة الكنغرس (٢)» انتقد فيها نظام الكنغرس الاميركي وعلاقتهُ بالسلطة التنفيذية انتقاداً حصيفاً باسلوب بليغ فطبعت الرسالة مراراً

وعيّن بعد ذلك استاذاً للتاريخ والاقتصاد السياسي في كلية برن مور حيث بقي سنتين ثم انتقل الى الجامعة الوسطية فبقي فيها سنتين ايضاً ثم انتخب عضواً في عمدة جامعة برنستن واستاذاً لعلم القوانين والاقتصاد السياسي فيها فنال شهرة بعيدة كاستاذ وخطيب لما عرفت بهِ خطبهُ من البلاغة وحسن البيان. وانتخب رئيساً لتلك الجامعة سنة ١٩٠٢ فاهتم باصلاح نظام التعليم ومعيشة الطلبة فيها ووضع نظام الوكلاء (٣) Preceptorial system وهو ان يعين لكل من اساتذة المدرسة

(١) من تآليفه « الدولة » وهو درس في مبادىء علم السياسة من الوجه التاريخي (١٨٨٩) « جورج واشنطون » (١٨٩٦) « تاريخ الشعب الاميركي » (١٩٠٢) « حكومة الولايات المتحدة الدستورية » (١٩٠٨) « الحرية الجديدة » (١٩١٣) « المبادىء الدولية العليا » (١٩١٩) وغيرها

(٢) اسم يطلق على مجلسي النواب والشيوخ الاميركيين

(٣) هذا النظام متبع في جامعة بيروت الاميركية

ومدرّسيها نفر من الطلبة يكون هو لهم بمثابة اخ اكبر وصديق حميم يرشدهم الى ما فيه خيرهم ويعينهم في ابحاثهم العلمية. على ان جامعة برنستن كانت جامعة ارستقراطية واخريجها الارستقراطيين اليد الطولى في ادارة شؤونها وكان الدكتور ولسن دمقراطياً يريد ان يجعل الجامعة دمقراطية فاصطدم بقوة الخريجين وحدث بعد ذلك ما زاد الخلف بين الفريقين ولذلك قبل ان يرشح والياً لولاية نيوجرزي سنة ١٩١٠ فاستقال من رآسة جامعة برنستن ليخوض معترك السياسة المضطرب

وبدأ لنحال في حملة انتخابية فكان لخطابه الجلية المعنى البليغة التعبير السامية الغاية وقع كبير لدى جمهور الناخبين فانتخبوهُ والياً لولاية نيوجرزي في نوفمبر سنة ١٩١٠ . وما كاد ينتخب حتى ابدى ما انطوى عليه من حزم وعزم فصرّح انهُ سيفعل ما يراهُ مفيداً للولاية سواء لقي عملهُ قبولاً لدى لجنة الحزب الدمقراطي التي رشحتهُ وسعت لانتخابه ام لم يلقَ فتقم عليه اعضاؤها ولكنهُ افلح في سن بعض القوانين الاقتصادية والسياسية التي اتت بفائدة كبيرة وجعلت الكتاب السياسيين ينظرون اليهِ كمصلح كبير

ورُشح للرآسة عن الحزب الدمقراطي سنة ١٩١٢ ففاز على المستر تافت الرئيس الاسبق مرشح حزب الجمهوريين وروزفلت مرشح « الحزب المستقل » المنفصل عن الحزب الجمهوري

كان ولسن قبل تقلدهِ للرآسة معروفاً بحسن المعاشرة وانس المحضر وفكاهة الحديث لكنهُ ما كاد يدخل البيت الابيض حتى انقطع عن الناس . فابطل اجتماعات الانس التي كان يعقدها روزفلت ليجتمع بالناس فيحادثهم ويتعرف امالهم واهوائهم والغى اجتماعات الرئيس مع الصحافيين للتحادث في الشؤون العامة لانهُ كان يعتقد ان واجب الرئيس يقضي عليهِ ان ينفق كل دقيقة من وقتهِ في الاهتمام بشؤون البلاد كي يبحث بحثاً علمياً في موضوع تاريخي او اقتصادي وان لا حاجة بهِ الى جسّ النبض العام لانهُ يجب ان يكون مجرداً عما يقولهُ الناس . نعم كان الدكتور ولسن ذا عقل راجح ونظر صائب وبراعة نادرة في تصوير المبادىء الكلية وصوغ الفكر البعيد في قالب بليغ طلي وكان ذا ثقة تامة في قوة المبادىء السامية على رفع الشعب الى مستواها السامي لكن انزواءهُ وترفعهُ الناشئين عن اعتقادهِ باصلاح فعلهِ لا عن كبرياء فيهِ ابعدا بينهُ وبين الرأي العام فنجم عن ذلك خطأهُ في فهم الشعب الذي يرأسهُ والحكومة التي يقودها

وكانت السنتان الاوليان من رآسته حافلتين بسن القوانين الاقتصادية التي جاءت بفائدة كبرى للبلاد واهمها تخفيض المكوس على الواردات وفرض ضريبة صغيرة على الدخل وتأسيس نظام مالي يعم البلاد لمساعدة الفلاح وذلك بتأسيس بنوك وطنية مرتبط بعضها ببعض تديرها لجنة خاصة مقرها في العاصمة

على ان التشريع الداخلي لا يهمنا كثيراً في هذا المقام مع انهُ يبرهن على صدق نظر ولسن وصحة آرائه في شؤون بلاده وخصوصاً الاقتصادية منها وانما نذكر اسمهُ مقروناً بالحرب الكبرى وبجمعية الامم ويكاد تاريخهُ من سنة ١٩١٤ الى ١٩١٨ يكون تاريخ اميركا وسنكتفي فيما يلي باهم الحوادث التي تمَّ عن آرائه ومبادئه ومقامه في التاريخ. فما كادت تنشب الحرب الكبرى حتى رأى هو ووزير خارجيته المستر بريان ان الواجب يقضي على الولايات المتحدة بالتزام جانب الحياد التام فنشر رسالة الى الشعب الاميركي ناشده فيها البقاء على الحياد التام في « العمل والكلام والفكر » ولكن ما مضى على نشوبها شهور قلائل الاَّ ظهر لولاة الامور ان الشعب الاميركيَّ لا يستطيع التزام الحياد لان العرق دسَّاس ولا بدَّ لمن كان من اصل المآني ان ينتصر لالمانيا ولمن كان من اصل انكليزي ان يميل الى انكلترا . وازداد ذلك بزيادة العلاقات التجارية مع الفريقين المتحاربين فمالت الكفة من البدء نحو الحلفاء لانهم كانوا اسياد البحار . على ان الرئيس ولسن لم يقل قولاً ولا أتى عملاً يستدل منهُ انهُ ميَّال الى احد الفريقين بل جلَّ جهدهِ كان ابقاء اميركا على الحياد وكثيراً ما ردد في خطبهِ « اننا ارفع من ان نحارب » . لكن الاخبار التي وردت على اميركا عن كيفية معاملة الالمان للاسرى البلجيكيين وشروعهم في اطلاق الحرب من القوانين الدولية المتفق عليها واستعمالهم للغواصات والغاز الخانق وغيرها اوجدت في بعض الدوائر السياسية ميلاً الى محاسبة المانيا على فظائعها هذه . فتبادلت الحكومة الاميركية مذكرات سياسية مع الحكومة الالمانية في شأن حرب الغواصات المطلقة من كل قانون دولي . ثم اغرقت الباخرة الانكليزية لوزيتانيا سنة ١٩١٥ دون سابق انذار وكان مسافراً عليها ١١٣ اميركي . والظاهر ان اغراقها كان مقصوداً لجس النبض السياسي في اميركا . فاجتهد الرئيس ولسن على اثر ذلك ان يجعل الحكومة الالمانية تقطع عهداً بان لا تغرق البواخر التجارية قبل ان تنذرها فوعدت بذلك سنة ١٩١٦. واستمر في مساعيهِ ليقنعها بالاقلاع عن حرب الغواصات

وتلا اغراق اللوزيتانيا اغراق الباخرة سسكس في اوائل ١٩١٦ فانتظر الرئيس ولسن ثلاثة اسابيع قبل ان يحتج على ذلك العمل الفظيع ثم ارسل احتجاجاً قوي اللهجة كان بمثابة بلاغ نهائي ختمهُ بقوله « اذا لم تعلن الحكومة الالمانية في الحال ابطال حرب الغواصات فالولايات المتحدة الاميركية تقطع علاقتها السياسية معها». فجاء جواب الحكومة الالمانية مشترطاً بعض الشروط ولكنها جددت عهدها في عدم اغراق السفن قبل انذارها . فاستخدم الرئيس ولسن هذا الفوز السياسي في انتخاب ١٩١٦ وفاز على مرشح الجمهوريين المستر هيوز (وزير الخارجية الآن) باكثرية قليلة وكان شعار الديمقراطيين في ذلك الانتخاب « انتخبوهُ لانهُ حفظنا من الدخول في الحرب »

وبعد انتخابهِ شرع يهتم بمذاكرة المتحاربين لعقد الصلح فكان جواب الحكومة الالمانية منهماً اما الحلفاء فقالوا انهم لا يتركون الحرب قبل الحصول على كل التعويضات اللازمة . فاخذ من ذلك الحين ينشر مبادئهُ المعروفة في السياسة الدولية وأهمها إعطاء الشعوب الصغيرة الحق لتقرير مصيرها وفض الخصومات الدولية بالتحكيم القائم على الصراحة والعدل واحترام القانون وتنظيم القوى الدولية لحفظ السلام وتحديد التسليح في البر والبحر وضمّن الخطبة التي خطبها في ٨ يناير ١٩١٨ مبادئهُ الاربعة عشر المشهورة التي قبلتها الدول بعدئذٍ اساساً لعقد الصلح

لكن الالمان مضوا في حرب الغواصات وكثر اغراق السفن الاميركية فقطعت العلاقات بين اميركا والمانيا وسافر السفير الالماني من وشنطون . وفي ٢ ابريل سنة ١٩١٧ طلب الرئيس من الكنغرس الموافقة على اعلان الحرب على المانيا في رسالة ختمها بقوله « لا نريد ان نغزو ارضاً ولا نطلب غرامة او ربحاً مادياً او تعويضاً عما نخسر في هذه الحرب بل نكتفي بأننا ندافع عن حقوق البشر »

ولم يكن لدى الولايات المتحدة حين دخولها الحرب سوى ٨٧٠٠٠ جندي واربعة مدافع كبيرة من الطراز الحديث وثمانمائة الف بندقية . ولم يكن لديها طيارة حربية واحدة ولا قنبلة من قنابل الخنادق وسائر انواع الذخيرة . ثم كان اسطولها قوياً في البوارج الضخمة لكنهُ كان ضعيفاً في الطرادات الخفيفة السريعة. ومع ان الرئيس ولسن كان رئيساً دمقراطياً لم يفز في انتخابات ١٩١٦ الاَّ باكثرية صغيرة لكنهُ ما كاد يدخل الحرب حتى هبت البلاد بامرها تؤيدهُ وتمدهُ بالقوة حتى يسير بها الى فوز باهر. فجيشت الجيوش وصنعت الذخائر ووفدت بعثات الحلفاء الحربية تمد

الاميركيين بما خبرتهُ الدول الاوربية في سنوات الحرب الاولى من تدريب الجيوش وتنظيم معامل الذخيرة . وشرعت حكومات الحلفاء تعقد القروض في الاسواق الاميركية وتنفقها فيها لشراء المؤن والذخائر فاشتد عزم الحلفاء بالمدد المادي والمعنوي الذي نالوهُ ووهن عزم الامة الالمانية فلم تمض سنة وبعض سنة على دخول اميركا الحرب حتى انكسرت شوكة المانيا في الميدان الغربي فطلبت عقد الهدنة فعقدت في ١١ نوفمبر ١٩١٨

***

كانت الامة الاميركية قد خاضت غمار الحرب الكبرى امة متحدة الصفوف ولم يمنَ احد زعماء الاحزاب فيها بشؤون حزبهِ الخاصة . لذلك دهش الاميركيون قبيل عقد الهدنة حينما ارسل الرئيس ولسن نداءه الى الشعب الاميركي يطلب فيهِ انتخاب الديمقراطيين فقط فنبه هذا النداء الحزب الجمهوري الى وجوب النشاط والسعي في الانتخابات فكان النجاح حليفهُ وصارت الاكثرية في المجلسين للجمهوريين وذلك مكنهم من الفوز على ولسن وحزبهِ فلم يقروا معاهدة فرسايل وعهد جمعية الامم

وبعد عقد الهدنة بشهر عزم الرئيس ولسن ان يذهب بنفسهِ الى مؤتمر السلام في باريس مخالفاً في ذلك تقليداً جرى عليهِ الرؤساء الاميركيون قبلهُ وهو عدم تركهم لبلادهم اثناء رآستهم . فاستقبل في فرنسا وانكلترا وايطاليا بحفاوة الملوك وايتهم وتطلعت اليهِ جميع الشعوب كرسول جديد للصحة والوئام ورائد لعصر ذهبي من السعادة والفلاح

وماكاد يدخل مؤتمر الصلح ويقف على ما فيهِ من التيارات السياسية المتناقضة حتى ادرك انهُ لا يستطيع تحقيق مبادئهِ مهما اوتيهِ من قوة الحجة والمقدرة على الاقناع . فمتى يتنظيم جمعية من الامم تستطيع في المستقبل ان تصلح ما يقع المؤتمر فيهِ من الخطأ فخطب في المؤتمر خطبة اقنعت الحلفاء بوجوب جعل جمعية الامم اساساً لكل معاهدات الصلح فنال بذلك فوزاً سياسياً كبيراً ولعل هذه الخطبة من ابلغ الخطب التي تليت في مؤتمر فرسايل . ولم يكن فشلهُ في تحقيق مبادئهِ عائداً الى جهلهِ اساليب السياسة القديمة كما يقال فان صراحتهُ في كثير من المواقف كانت تضعف حجج المعارضين المبنية على المعاهدات والمفاوضات السرية ، بل هو عائد الى ضعف

الطبع البشري الذي لا يستطيع الاقلاع عن التحكم والانتقام حيثما يستطيع ذلك وما كان كلانسو ولويد جورج وغيرهما سوى سفن صغيرة تتقاذفها تيارات الشعوب المتصرة ولم يكن في استطاعتهم مقاومتها

وبعد انتهاء مؤتمر الصلح عاد الى بلاده [1] فوجد سهام الانتقاد مسددة الى المعاهدة وعهد جمعية الامم فعزم ان يستفتي الامة في ذلك واثقاً انها سترفع عن السياسات الحزبية للبت في امر يهمّ العالم باسره فشرع يطوف في البلاد من اقصاها الى اقصاها خاطباً في الجماهير مبيناً لهم الفائدة الكبرى التي تنجم عن تأليف جمعية الامم واقرار عهدها . على ان مفاوضات الصلح كانت قد انهكته فما كاد يشرع في رحلته هذه حتى اصيب بانحطاط عام في قواهُ وبشوع من الفالج اعجزهُ عن القيام بمهام منصبه . لكن الكنغرس رفض المصادقة على المعاهدة كما رفضتها الامة بعد ذلك في انتخاب سنة ١٩٢٠ وينسب رفض الامة لها الى احوال السياسة الحزبية

وبعد خروجه من البيت الابيض خذت صحتهُ تتحسن وجعل يسترد مقامهُ السابق ويظهر امام جماهير من انصاره والمعجبين به ليعرب عن ثقته بانتصار المبادىء التي جاهر بها واعتقاده الراسخ « ان العمران لا يثبت مادياً ما لم تصلح مبادىء الناس روحيًّا »

واشتد عليه المرض في اواخر يناير الماضي فلم يرجَ وعرف هو ذلك فقال قبل وفاته بيوم واحد لصديقه وطبيبه الاميرال جريسن « لقد عطلت الآلة . لا نستطيع ان نفعل شيئاً . انا مستعد » وقابل الموت بالشجاعة والثقة اللتين عرف بهما في حياته واعتمد عليهما في اشد المعارك السياسية هولاً واكثر المواقف اشكالاً وتعقيداً

ثم انهُ كان مستعداً للانتقال من هذا العالم بعد ان انفق قوتهُ في الدعوة الى السلام القائم على الحق والعدل . وسيذكرهُ التاريخ كرسول محبة ووئام اكثر مما يذكرهُ كرجل من رجال السياسة

---

(١) عاد ايضاً قبل انتهاء المفاوضات فاستقبل فيها استقبالا فضاً ومن الذين استقبلوه بحفاوة كبيرة السنر كولدج الرئيس الحالي وكان والياً لولاية ماستشوستس وهاك فقرة جاءت في خطبته التي قالها ترحيباً به « احتفاؤنا به افخم من احتفائنا برؤساء استقبلناهم قبله اوثق اتحاداً من استقبالنا لكن . استقبلناه ممثلا لامة عظيمة ، كبير عظيم ، كرجل وضعنا في يده مصيرنا وكلنا واثق انه يستمر على السعي لتحقيق المبادىء السامية التي نمثل ولايتنا هذه »

لوحة رقم ٦٤